

Servants and African slaves according to archaeological remains in the museums

Habnassi Bilal¹, Ibba Sidi Mohammed²

¹University of Tamanghasset (Algeria), E-mail: b.habnassi@univ-tam.dz

²University of Tamanghasset (Algeria), E-mail: ibba.mohammed@univ-tam.dz

Received: 08/2024, Published: 09/2024

Abstract:

Authors and researchers from various sciences, notably archaeology, have become interested in the question of slavery and the possibility that its beginnings are linked to prehistory has appeared, from the analysis of the remains of the funerary archaeology. The presence of servants and slaves has always been part of the public life of ancient historical civilizations in Eurasia as well as Africa, their manifestations have been revealed in accounts from Islamic, medieval and modern eras.

Africa experienced the phenomenon of slavery based on various archaeological evidence from archaeological sites and historical monuments such as caves, theaters and mosaics, depictions of African servants and slaves also appeared in objects transferred from icons, statues and inscriptions. Today they are on display in museums in Africa and around the world, while colonial-era cemeteries in North America, South America and the West Indies contain evidence of skeletal remains of slaves from the trade Atlantic, revealed by natural factors such as tornado that hit struck Guadalupe, necessitating salvage excavations that led to the creation of colonial slave archeology to restore one of the ugliest forms of slavery in human history.

Keywords: Servants, slaves, remains, archaeological, museums.

الخدم والعبيد الأفارقة من خلال الشواهد الأثرية ضمن المتاحف

حبناسي بلال¹، إيباه سيدي محمد²

¹جامعة تامنغست (الجزائر)، البريد الإلكتروني: b.habnassi@univ-tam.dz

²جامعة تامنغست (الجزائر)، البريد الإلكتروني: ibba.mohammed@univ-tam.dz

المخلص:

اهتمت فئات المؤلفين والباحثين من مختلف العلوم وبالخصوص علم الآثار بمسألة العبودية، فصار احتمال ارتباط بداياتها بعصور ما قبل التاريخ قائماً استناداً إلى تحليل شواهد علم الآثار الجنائزي، فطالما كان وجود الخدم والعبيد ضمن مشهد الحياة العامة للحضارات التاريخية القديمة في أوراسيا كما في إفريقيا، وقد تبيّنت مظاهرها ضمن قرائن العصور الإسلامية والعصور الوسطى والحديثة.

عرفت إفريقيا ظاهرة الاستعباد استناداً إلى شواهد أثرية متنوعة من المواقع الأثرية كالكهوف والمسارح والفسيفساء، كما ظهرت تمثيلات الخدم والعبيد الأفارقة ضمن الأثاث المنقول من الأيقونات، التماثيل والنقوش الكتابية، تتواجد اليوم ضمن معروضات متاحف إفريقيا والعالم، بينما احتوت مقابر الحقبة الاستعمارية في أمريكا الشمالية والجنوبية وجزر الهند الغربية على شواهد بقايا

هياكل عظام عبيد تجارة الأطلسي، كشفت عنها عوامل طبيعية كالأعاصير التي ضرب غوادالوب، ما استدعى إجراء حفريات إنقاذية أدت إلى إنشاء علم آثار العبيد الاستعماري لاستعادة إحدى أشجع صور العبودية في تاريخ الإنسانية.
الكلمات المفتاحية: خدم، عبيد، شواهد، آثار، متاحف.

1. مقدمة:

صارت مسألة العبودية وتاريخها شغل العديد من الاختصاصات كعلم الآثار ولا سيما آثار ما قبل التاريخ، لجأ حيالها علماء الآثار وعلم الإنسان إلى البحث في ظاهرة العبودية انطلاقاً من تحليل الشواهد المتأثية من المواقع والمعالم التاريخية وفق مختلف اختصاصاته، فأصبح من غير المستبعد أن تكون ظاهرة العبودية مرتبطة ببدايات وجود الإنسان على وجه الأرض، مما دفع باختصاصي آثار ما قبل التاريخ إلى طرح فرضيات يُحتمل من خلالها أن تكون مظهراً من حضارات العصور الحجرية القديمة، طالما تبيّنت صورها ضمن شواهد العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ ومشهداً مألوفاً لدى الحضارات القديمة المبكرة في شتى بقاع العالم.

عرفت إفريقيا بدورها ظاهرة الرق عبر العصور استناداً إلى شواهد أثرية متنوعة ومتعددة ما بين الثابت والمنقول والمعروض في متاحف إفريقيا والعالم، فتحول البحث في المسألة إلى أحداث تخصص آثار العبيد الاستعماري لاستكمال أشجع صور العبودية. إن لتنوع وتعدد شواهد العبيد الأفارقة عبر العصور صلة بالثقافات وتسلسل العصور والمناطق الجغرافية الإفريقية، فما هي أنماط الشواهد الأثرية التي من شأنها إعادة تصور واستكمال أحوال المعرفة حول جذور وتطورات العبودية في مسميات الخدم والعبيد؟

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة العبودية عموماً وعلى مصطلحي العبيد والخدم الأفارقة ضمن القرائن الأثرية المتواجدة بالمواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف، ولا سيما الآثار القديمة، الإسلامية وآثار العصور الوسطى والحديثة، مستخدماً مبدأ تقاطع العلوم وتكامل المصادر والتنوع فيها، ومعتمداً على المنهج الوصفي الأثري؛ لعرض مختلف المواد الأثرية والمنهج التاريخي والمقارن؛ لاستخدام بيانات إثنوغرافية وجغرافية مساعدة على التأويل والمنهج التحليلي؛ لعرض ما توصلت إليه العلوم الدقيقة والطبيعية والتجريبية.

2. مفاهيم ومصطلحات:

عكف باحثي علم الإنسان واللغات في أصول مصطلحات الخدم والعبيد ضمن الألفاظ القديمة، فتوصلوا إلى أن بداياتها تعود للفظ اليوناني "Esclavons" للدلالة على العبيد و"Servus" على الخدم في اللاتينية القديمة استناداً لشواهد متعددة، ورد ضمن نصوص نقوش أثرية في روما القديمة مصطلح "Servus publicus" أو مجرد "Publicus" وألفاظاً مركبة من "Servus publicus populi romani"¹، كانت أصل لفظ عبد "Esclave" المتواتر في اللغة الفرنسية، والذي يعود أصله إلى الكلمة اللاتينية "Sclavus" المعروف منذ العصور القديمة والوسطى في البندقية مع اقتناء عبيد من سلاف البلقان وقبل أن تشيع مسميات الخدم، الدليل، الخنوع والقرن إبان العصور الوسطى إلى الحديثة تزامناً مع تنامي ظاهرة الرق بشكل متوحش².

شهدت إفريقيا بدورها ظاهرة الرق في عهود مستمدة من عصور ضاربة في القدم تبعاً لبيانات الاثنوغرافيا وعلم اللغات القديمة، بيّنت شكلاً من الصلة بأصنافهم ووظائفهم في الحياة العامة، فالعبد المنزلي؛ كان مدبرة المنزل ممن يعيشون جنب أسيادهم، مما دفع المراقبين تسميتهم بالعبودية الناعمة، العبد الزراعي؛ ينتمي إلى فئات مزارعي أرياف إفريقيا القديمة ممن عاشوا على أراضي من ملكية الأسياد ولم يُعرضوا في الأسواق قط، عبيد التجارة؛ ممن تم جمعهم أو التقاطهم ثم تصديرهم من إفريقيا تزامناً مع رواج تجارة الرقيق، أما العبد العسكري فكان أباطرة إفريقيا يقتنونهم بموجب الجزية المفروضة على مناطق نفوذهم، في حين عمل وأمراء وزعماء القارة على تحويل العبيد الزراعيين إلى مجندين ليخوضوا حروب العشائر في انتظار بيعهم، فيما أثبتت نصوص الروايات الشفهية وجود عبيد الجنس من محظيات السيد في إفريقيا استناداً إلى مفردات منها؛ همبوسا

وإجازي بمعنى محظية، ولا تزال قواميس اللغات الإفريقية تحتفظ بألفاظ متعددة ذات إيماءات عن العبودية منها: مجوانا ميريماذ أي الإفريقية الحرة، مشمبارا ويعني أفريقي أصيل، مروموا ويُقصد بها شخص لا مال له يعمل لحساب شخص آخر كما يعني العبد، مشنذري وهي العبد المسلم بملكيتة لسيده، أما العبد المتمرد والفارّ في البرية فيطلق عليه متورو³.

توصل باحثو آثار ما قبل التاريخ إلى جانب اختصاصيو علم الأنسان وعلى رأسهم A, Testart إلى نتائج هامة في أبحاثهم حول مدافن العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ من خلال تحليل بقايا عظمية لأفراد كانوا مجتمعين حول بقايا فرد محوري، رجحت نتائج تأويلها أن تكون لسيد أحق أتباعه من العبيد أو ذوي مكانة أدنى، توحى وضعياتهم إلى أنهم ألقوا في حفرة الدفن دون مراعاة وضعيتهم خلاف السيد المودع بالحفرة في وضعية جانبية منطوية⁴، في حين وفرت الشواهد الأثرية المتنوعة تأكيدات صريحة على وجود الخدم والعبيد الأفارقة على نطاق واسع داخل وخارج القارة، وعبير العصور وفق آثار الفترات القديمة، الإسلامية والحديثة.

3. آثار العصور القديمة

يُعتبر الرق ظاهرة عالمية من مشهد الحضارات القديمة المبكر على غرار حضارات الهند القديمة والحديثة وفق شريعة مانو البرهمية، التي حددت فيها درجة السودا لمن يمثلون العبيد المصنفون في الدرجة الدنيا والمندوبون، ولم يختلف حال غيرها من الحضارات القديمة كالفارسية، حضارات ما بين النهرين، اليونانية، الإغريقية والرومانية. أثبتت الشواهد الأثرية بالأدلة الموثوقة وجود العبودية لدى المجتمعات التاريخية القديمة في واد النيل تزامناً مع ظهور الشواهد الكتابية حين شهدت مصر القديمة تسخير العبيد بشكل مختلف عن اليونانيين والرومان، مما يندرج ضمن صور إعادة الإدماج الاجتماعي لأسرى الحرب (المغتصب والقاتل)⁵.

وجدت تمثيلات الهراوة ضمن رموز الهيروغليف المصري القديم دلالة على لفظ (hm) والذي يعني الخادم بالمنزل أو القصر وكذا عابد إله المعبد، فيما تمدنا غيرها من شواهد علم المصريات دلالات قديمة عن العبودية؛ منها قطع أثرية من مجسمات لأسرى الحروب الذين كانوا بمثابة مقتنيات وسلع تدرج ضمن حيازة الملوك، فالأسير يساوي العبد منزلة، إذ سُخر الأسرى النوبيين (صورة 2) كعبيد في أعمال شبيه عسكرية⁶.

تضمنت شواهد علم الصور والإيقونات القديمة تمثيلات للعبيد والخدم ضمن مجموعات العهد القديم، تتخذ تمثيلات العبيد وضعيات الانشغال في العمل اليومي على مواد أثرية كالتمثيل الخشبية (صورة 3) والعاجية، الحلي والأواني الفخارية، تُبرز أساليبها الفنية صوراً من تلك الشائعة والمألوفة عن العبيد، فقد كان مظهر لباس العبيد نمطياً في اليونان، فمثلاً للباس ذو الساعدين الطويلتين بشكل واضح يُعتبر علامة تميز العبيد من الأصل البربري⁷، كما تتميز صور الإيقونات الفنية بترائها من حيث تمثيلات العبيد بلامح السود الأفارقة ضمن الآثار القديمة كمؤشرات لدخول هذا العرق من العبيد وازدهار تجارته⁸ بعد تطور التجارة بين الغرامنت والرومان قبيل القرن الـ 2 م⁹ كتمثال العبد الزنجي الشاب (صورة 4)، المصنوع من الرخام والمعروض بمتحف اللوفر في فرنسا.

عُثر على شاهد أثري بموقع طلبت جنوب تونس على مقربة من الطريق الرابط بين سبيطلة وفريانا، يتمثل في حلقة عنق العبيد (شكل 1) إبان العصور القديمة، تتخذ شكلاً شريطياً مسطحاً محدود العرض، صنع من النحاس الأصفر ونُقشت على وجهه الظاهري كتابة بالأزيميل في شكل حُر عميق: «EMERITI CENTVRIONIS SVM. EX OFFIC. PRESID...NE ME SED BEN»¹⁰، تدل على عبودية في عهد لاحق لتاريخ يوليو 264م بمقاطعة بزنتية¹⁰، كما حفظت الشواهد الفسيفساء الأثرية مشاهد متنوعة حول العبيد ضمن أنشطة الزراعة، منها انشغالهم بالحرث والبيزر وفق مشاهد فسيفساء من شرشال وأخرى من زليت¹¹ وفسيفساء دوغة المعروضة بمتحف البارود في تونس (صورة 1) لعبيد يقدمون جرار النبيذ لأسيادهم.

تعتبر مصادر قدامى المؤرخين مادة أثرية فضلاً عما تتضمنه نصوصها من أخبار تستعرض العبودية العامة، فقد نقلت تلك النصوص إشارات عن تجارة العبيد القديمة في البحر الأحمر والمحيط

الهندي على طول سواحل الشرق الإفريقي، تضمنت شهادة مخطوطة يونانية من مصر "رحلة البحر الإريثري"، يرجع تاريخها إلى ما بين القرن الـ1 م إلى الـ2م كدليل على إحدى مراكز للتبادل، ورد فيه أن أوبون (رأس حقفون) كان يروج في لخيرة العبيد الذين تم جلبهم إلى مصر بأعداد متزايدة انطلاقاً من سواحل الصومال¹² كما كانوا يوجهون إلى الشرق الأقصى، فكان القرن الأفريقي يزود شبه الجزيرة العربية والخليج الفارسي بالعبيد في فترة لاحقة¹³.

4. آثار العصور الإسلامية

يرتبط أقدم الشواهد الأثرية حول الخدم والعبيد الأفارقة بنقش أثري عُثر عليه في جاوا الشرقية بإندونيسيا، يعود إلى عام 860م، ذكر فيه اسم جينغي الإفريقي ضمن قائمة الخدم، وتضمن نقش أثري آخر بجاوا أسماء العبيد السود الذين أهداهم ملك جاوا للباط الإمبراطوري في الصين، كما ورد أيضاً عقد شراء عبيد سود من قبل تجار صينيون (Hei-hsiao-ssu) مباشرة من التجار العرب أو الصوماليين أو العفاريين الذين أسروهم في المناطق الشمالية الشرقية من كينيا الحالية¹⁴.

عكف المؤلفون على تحليل صور الفن الصخري بالصحراء الوسطى للبت في صحة ما ورد ضمن نصوص المؤرخ هيرودوت في المقطع الشهير الذي يذكر فيه أن: "...الغرامنت سائقي العربات السريعة التي تجرها أربعة ليصطادوا الأثيوبيون سكان الكهوف..."¹⁵، فلم يهتموا سوى لمشهد وحيد ضمن نقوش وادي جرات بتاسيلي ناجر يُبرز تفاصيل الصيد الموصوف قصد الاستعداد، إلا أن غيره من المؤرخين أكدوا أن العبيد السود كانوا ضمن صادرات الغرامنت مع الإغريق ثم الرومان إبان عهد العربات والفرسان ثم المهاري بعد القرن الـ5 ق.م.

علم بذلك بربر صنهاجة نقاط مرور شبكات الطرق التي تُعد بحد ذاتها شاهداً على العبودية لما يرتبط بها من مراكز حضرية صحراوية كوغاوا، تمبكتو، كانو وغيرها¹⁶، ففي مراكز ما قيل الصحراء الكبرى هذه كان التبادل يتم بين تجار العبيد السود مقابل سلع من الشمال ولا سيما الخيول؛ فكان الحصان الواحد ثمن 15 عبداً، كما كان دينار العملة العربية التي يعادل فيها الدينار الواحد 4.729 غرام من الذهب أساساً آخر لمعاملة البيع والشراء، حيث ذكر ابن بطوطة (القرن الـ14م) أنه اشترى جارية متعلمة بـ 25 ديناراً فوجدها باهظة الثمن أثناء سفره عبر الصحراء الوسطى ضمن قافلة من 600 جارية شابة سوداء وجهن نحو أسواق المغرب، وصار من الممكن بعد مرور قرن من الزمن شراء العبد في توات مقابل 2 دوكات؛ ودوكلات البندقية كانت تعادل حينها 3.5 غرام من الذهب¹⁷. ولعل آثار حقول ومقالع الملح في الصحراء أشهر شواهد تلك الفترات من تاريخ العبودية، وبالخصوص ما يتزامن مع عهد ممالك غرب إفريقيا كغانا وسونغاى ومالي حين كانت الصحراء مجال سيطرة على تجارة الملح التي كانت بمثابة عملة للدفع السريع في تجارة العبيد الأفارقة مع الجيش المغربي¹⁸.

اهتمت نصوص المؤرخين والمراقبين العرب والمسلمين بمسألة تجارة العبيد الأفارقة، وهي إحدى شواهد علم الآثار الإسلامي المفيدة في استقرار تلك الحقب من تاريخ العبودية. ورد فيها أن شمال أفريقيا شهدت نزيفاً بشرياً على مر السنين وفق إشارات أمثال المالكي والنويري، اللذان ذكرا أنه خلال مغادرة حسان بن النعمان الغساني شمال إفريقيا باتجاه الشرق عام 698م، أخذ معه غنيمة هائلة كان من ضمنها 35.000 من البربر المستعبدين¹⁹، وذكر ابن العذاري استعباد آلاف الأسرى من أمازيغ زغوان جنوب تونس²⁰، في حين كانت العبودية مستقلة جنوب الصحراء وفق مصادر متعددة تؤكد أن ملك مالي منسى كنگ موسى اصطحب في رحلة حجه الباذخة إلى مكة قطعان من العبيد رجالاً ونساءً؛ فُدر عددهم ما بين 8000 و 14000 فرد، قام بإهداء بعضهم في حواضر مروره وصولاً إلى مصر، وورد أيضاً أن خليفة منسى موسى المسمى سليمان أهدى جارية شابة مجاملة لأحد زعماء أكلة لحوم البشر الذين لم يتوانوا في أكلها²¹.

نقلت المصادر العربية شواهد من تمثيلات العبيد من خلال تجارة الرقيق الإفريقي، منها مخطوطات مقامات الحريري للواسطي المصورة المحفوظة حالياً بقسم المخطوطات في مكتبة فرنسا الوطنية بباريس، تعود للقرن الثالث عشر الميلادي ما بين عامي (1236-1237م)، تحوي مشاهد

لعبيد بسفينة نقل بالخليج الفارسي (صورة5)، جوارى زنجية راقصة بالخان (صورة6) ومعرض عبيد بسوق النخاسة في زيبيد باليمن (صورة7)22، فيما اهتم مضامين بعضها بتدوين معاملات وعقود بيع وشراء العبيد، على غرار وثيقة عقد بين تاجر من تمبكتو وآخر من مدينة غدامس القيمة غرب ليبيا(صورة13).

صار من الصعب اليوم معاينة أسواق النخاسة التي تُعد أبرز الشواهد الأثرية على تجارة العبيد، ولو أن إشارات مصادر المؤرخين والمراقبين تساعدنا في الكشف عن مواقع وأحوال أشهرها، عُرفت إبان العهد الإسلامي بالمغرب العربي بمسميات مختلفة منها المعرض، البركة وسوق الخدم والعبيد على غرار أسواق درعة، ترودان، سجماسة، فيما يُعتبر سوق البركة بمدينة سلا في العهد المريني أشهرها، فقد أشار محمد حسن الوزان إلى وجود ركن لبيع العبيد في سوق الخضار بمدينة فاس، كما كانت بعض الأرصفة والموانئ المغربية على غرار سبتة مركزاً لشحن العبيد عبر البحر المتوسط إلى وجهات مختلفة حسب الإدريسي، بينما أورد الونشريسي أن كل سوق من أسواق المغرب كان يضم ركناً مخصصاً لعرض وبيع العبيد²³ حال سوق البركة بتونس (صورة10)، والذي شُيّد في قلب للمدينة إبان الفترة التركية على يد يوسف داي سنة 1612م بهدف بيع العبيد²⁴ أو سوق الجزائر القديم الذي شُيّد في الفترة ذاتها (صورة11). في أسواق النخاسة شارك الأطباء في فحص الرقيق ومعاينة مدى سلامتهم إبان العهد الإسلامي بالمغرب العربي، تُحرر إثر معاينتهم وثيقة عقد البيع والشراء التي تتضمن بنوداً من الحالة الصحية وملكية المشتري، ثمن البيع، ولتاريخ، اسم طرفي العقد وغيرها²⁵.

لم تغب مظاهر الرق من لوحات أشهر الفنانين الغربيين ضمن شواهد ومعروضات المتاحف العالمية، فالمثير للدهشة أن العبودية لم تشكل سوى جزء صغير من تمثيل السود على القماش بادئ الأمر قبل اللوحات الزيتية بالمغرب (صورة12)، تزايد أعدادها لاحقاً ففي النهاية تم العثور على عدد من اللوحات التي تصور عبيد الاستعمار بدية من عام 1848 تزامناً مع تاريخ إلغاء العبودية، حين بدأ بعض الفنانين في التنديد بإساءة معاملة السود(صورة15)، مما مثل مارسيل فيرديه في لوحة "عقاب الأوتاد الأربعة" (صورة16) كمشهد عقاب بدني من عام 1838، أما اللوحة الشهيرة "طوافة ميدوسا" لجيريكول (صورة14)، ترمز إلى شخصية رئيسية من عرق مختلط يدعى يوسف المعروف ببوسف الأفريقي، باتت رمزاً للرغبة في الحرية استنكار تجارة الرقيق.

5. آثار العبيد الاستعماري:

ارتبط علم الآثار بالتاريخ في الكشف عن أسرار الفترة الاستعمارية بأمريكا انطلاقاً من أعمال المؤرخين المحليين الذين تناولوا التاريخ الصناعي في وقت ازدهر فيه علم الآثار الصناعي أكثر، فسُدت فجوات الأبحاث الأرشيفية بعد حفريات تسعينيات القرن الماضي إلى غاية عام 2010، تحول اهتمام علم الآثار إلى البحث في مسألة العبودية مما صار من اختصاص علم الآثار الاستعماري الذي يتعلّق بالجانب الجنائزي الأكثر توثيقاً لأحوال العبودية ضمن التوسع الأوروبي منذ 1492م إلى جانب دراسة شواهد المباني المرتبطة بالاستعمار كالتحصينات، المستوطنات، المزارع وشواهد الثقافة المادية المتأثية منها(صورة19).

تم تدقيق مصطلح علم آثار العبيد الاستعماري خلال المؤتمر العلمي الموسوم بـ "آثار العبودية الاستعمارية" تحت رعاية المعهد الوطني للبحث الأثري الوقائي (INRAP) المعقد في كاي برانلي عام 2013، اتخذ علم آثار العبيد الاستعماري على إثره من فضاءات مواقع أمريكا الشمالية والجنوبية وجزر الهند الغربية مجالاً لأبحاثه²⁶، فمنذ القرن الـ15م إلى القرنين الـ17م والـ18م أقام تجار الاستعمار الامبريالي ولاسيما الفرنسيون معسكرات في أفريقيا من أجل تنفيذ تجارتهم بسرعة بعد شراء العبيد من التجار السود، ليتم تجميعهم على متن السفن في ظروف مزرية، تستغرق مدة نقلهم ما بين 30 و35 يوماً حسب المراكب²⁷.

كشفت الأعاصير التي ضربت غوادلوب في عام 1995 هياكل عظمية جنائزية خضع بعضها لعمليات أثرية خلال العام التالي، تم تفسير تلك المدافن على أنها مواقع مجموعات عبيد الفترة

الاستعمارية²⁸، فيما أتاحت التدخلات الأثرية لفرق علم الآثار الوقائي في غيانا تسليط الضوء على المباني الزراعية التابعة لقرية العبيد، التي لم يبق منها سوى أنقاض مطحنة وأجزاء من جدران المصنع مرتبط بمجموعتين من الأفران جوار مخازن وأبار²⁹، تُضاف إليها اكتشافات لمقابر عبيد في جزر الأنتيل ومونتسيرات وسورينام (صورة 18، 20)، في حين كشف التنقيب الأثري على بقايا أكواخ العبيد في جامايكا وفي غيانا الفرنسية بالقرب من مقبرة لم تُحفظ فيها الرفات الهياكل البشرية بشكل جيد على غرار بقايا أفراد آخرين بمواقع شاطئية في ماتوبا (صورة 17) المتواجد في سفوح مرتفعتات سوفريير، عُثر فيه على عظام بشرية بالشاطئ الحالي متدرجة ومفتتة بسبب ديناميكية مياه البحر³⁰.

شَخَّصت الملاحظات آثاراً وبائية وعاهات مبكرة على بقايا عظام العبيد نتيجة الظروف المعيشية الصعبة، مما يدل على معاناتهم الصحية أثناء حياتهم وهو ما أمكن استقراؤه من خلال آثار وعلامات على عظام تشهد على الصدمة، والإجهاد الميكانيكي، نقص التغذية، والأمراض المعدية في الغالب. خلص G. A. Beltrán إلى تشخيص أعراض مرضية وعاهات وبائية أثناء فحصه لزوج المكسيك، صنفها ضمن علم أمراض السود الشائعة نتيجة ظروف الاستعباد³¹، منها الحمى الصفراء، والدوسنتاريا، الدودة الشصية، السل، التيفوس الطفحي، حمى التيفونيد، الداء العليقي، الورم الحبيبي اللمفي المنقول جنسياً، داء كلابية الذنب، الصرع وأمراض القلب³²، أكد J. J. Uribe أن أغلبها كان نتيجة النظام الغذائي السيئ وقسوة ظروف العمل والمسكن، ما جعلهم ضحايا لأمراض جلدية وأخرى أدت إلى بتر أجزاء من أطرافهم وأصابعهم، إضافة إلى حالات الجذام والأمراض النفسية³³.

ارتفع مستوى الوعي لدى الأفارقة بتداعيات العبودية ولا سيما تلك الصفحات المظلمة من تاريخ تجارة رقيق الأطلسي، حين صارت الممتلكات ذات الصلة بأحداث بارزة من تجاوزات التجار الأفارقة في حق أقاربهم مع تنامي اختصاص علم آثار العبيد الاستعماري، ما خلف ردة فعل حيال بعض المواقع الأثرية، حيث شُرع منذ عام 1981 في أعمال صيانة وترميم بيت أو بالأحرى سجن العبيد (صورة 8) ضمن برنامج UNESCO قصد إدراج المبنى ضمن تراث الوطني في السنغال³⁴ كما غدا كهف شيموني (صورة 9) بكينيا قبلة لمرتادي المعلم الذي صار تذكاراً يُخلد مأساة ضحايا تجارة الرقيق الهندي عبر مراكز من شرق إفريقيا.

6. خاتمة:

أثبت تحليل القرائن الأثرية من شتى عصور تاريخ الإنسانية دلالات صريحة على العبودية على اختلاف صورها من الخدم والعبيد والجواري، وصار من المؤكد أن المسألة كانت من إرث ثقافات عصور ما قبل التاريخ وفق تأويلات علم الآثار الجنائزي لبقايا المدافن رغم ندرة شواهد هذه الحقبة مقارنة بآثار العصور القديمة والعصور الإسلامية، مما يُبرّر اعتقاد المؤلفين بحدوث استنزاف بشري مفاجئ.

وجدت العديد من القرائن الدالة على العبودية في العصور القديمة ضمن متاحف إفريقيا والعالم المعروضة على الهواء كالمواقع الأثرية من فسيفساء، مسارح، مقالع ومناجم أو ما يتعلق بقطع منقولة من تماثيل، أواني فخارية، إيقونات، نقوش أثرية التي توصلت علم اللغات إلى تحديد معاني مفردات كانت تُطلق عليها.

أثرت مجموعات المقتنيات المتحفية في إفريقيا من أثار الاستغلال العبيد في المزارع والمراعي وورشات البناء والحداثة، كما تحتفظ متاحف العالم باللوحات الزيتية والمخطوطات كأثار من الفترتين الإسلامية والعصور الوسطى الإفريقية، بينما حفظت طبقات مواقع إمريكا الشمالية والجنوبية وجزر الهند الغربية بقايا عظام هياكل العبيد ومسكنهم وشغلهم في الحقب الاستعمارية، ليتحولوا إلى مواد أثرية تكشف عنها عوامل طبيعية من حين لآخر، أنشئ على إثرها علم آثار العبيد الإستعماري.

نوصي من خلال ما أبرزته زوايا البحث المتقاطع لشبكة العلوم في مسألة الرقيق الإفريقي على تحطمي ما يشوبها من طابو ولا سيما من قبل فئات البحث الأكاديميين، لما يتطلبه الأمر من برمجة أنشطة علمية؛ ندوات، أيام دراسية، ملتقيات وطنية ودولية، اعتباراً لتشابك العبودية بجميع جوانب

تاريخ إفريقيا الثقافية السياسية، الاقتصادية، الدينية والاجتماعية عبر الزمان والمكان، وما يعنيه ذلك
لشئى العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم الطبيعية، السياسية والقانونية وغيرها.



صورة2: مشهد عبيد ضمن نقوش مصر
بمقبرة حورمحب(رحاب ع. م. ب، 2020).



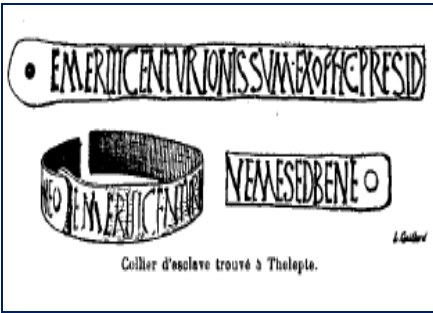
صورة1: مشهد رقيق بفسيفساء رومانية القرن
2م بدوغة في تونس(Arbia. H, 2015).



صورة 4: تمثال عبد زنجي بمتحف اللوفر بفرنسا
(M, Lavin et D, Perez, 2018).



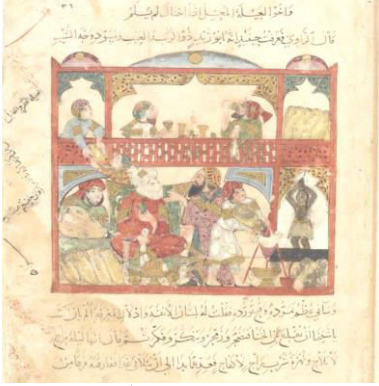
صورة 3: تماثيل خشبية للعبيد النوبيين بموقع
مسحتي بأسيوط(رحاب ع. م. ب،
2020).



صورة 5: مخطوط مصور لعبيد بسفينة
نقل بالخليج الفارسي(BnF, 5847, f.119).



شكل1: حلقة عنق العبيد من العهد البيزنطي
من موقع طلبت بتونس(Poinssot. L,
1913).



صورة 7: مخطوط مصور لعبيد بسوق النخاسة بزييد اليمين (BnF, 5847, f.105)



صورة 6: مخطوط مصور لجواري زنجية راقصة بالخان (BnF, 5847, f.36).



صورة 9: كهف شيموني بكينيا لحجز بتونس عبيد تجارة الهندي (Herman. K, 2009).



صورة 8: مبنى غوري؛ مسكن عبيد تجارة الأطلسي بالسنغال (Krausse. J, 2011).



صورة 11: مبنى سوق العبيد القديم بالجزائر (BPL) مكتبة بوسطن العامة.



صورة 10: مبنى سوق البركة للرقيق من العهد العثماني (Deveau J.-M, 2002).



صورة 13: مخطوط إسلامي؛ عقد بيع عبيد السودان بليبيا (BnF)



صورة 12: لوحة للفنان J-B, Huysmans عام 1826: وريث القايد، معروضات فرنسا.



صورة 15: لوحة للفنان F-A, Biard عام 1849: معاملة العبيد الاستعماري، قصر فرساي.



صورة 14: لوحة للفنان M, Géricault عام 1818: طوف ميدوسا، متحف اللوفر



صورة 17: حفرة أثرية بمدافن جنائزية من



صورة 16: لوحة للفنان M, Verdier عام

القطاع الشمالي (Courtaud. P, 2013).

1838: عقوبة الأوتاد الأربعة، مؤسسة منيل.

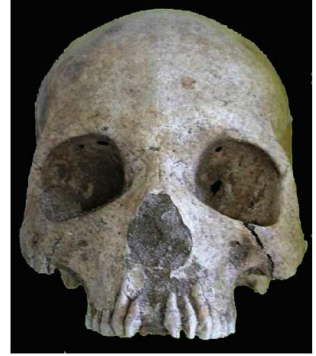


صورة 19: أغلال لتكبير عبيد بمدافن من
القطاع الشمالي (Courtaud. P, 2013).



صورة 18: بقايا عظام عبيد بالمدافن الجنائزية

من القطاع الشمالي (Courtaud. P, 2013).



صورة 20: عينة من جماجم العبيد بمدافن
القطاع الشمالي (Courtaud. P, 2013).
5.المراجع

¹ Sudi.-Guiral. (F)., *Les esclaves et les affranchis publics dans l'occident romain (Ile siècle avant J.C. - IIIe siècle après J.C.)*. Thèse de Doctorat, Discipline Histoire, Université Blaise Pascal - Clermont-Ferrand II, 2013, p14.

² Stellmann. (C)., *l'homme et son développement : histoire de l'esclavage*, 2013, p1.

³ Siti. (Y)., « Réveiller la mémoire. L'esclavage dans les fonds oraux des Archives départementales de Mayotte », *Situ*, 20, 2013, p.1-11.

⁴ Stellmann. (C)., Op.cit., p1.

⁵ Ibid., p2.

⁶ رحاب عبد المنعم باظة، دراسة حول مفهوم الخدم والعبيد في مصر القديمة والتشريع الإسلامي. مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 61، 2020، ص152-192.

⁷ Girardot. (J.-F)., Cherchez l'esclave ! ou : Quelques réflexions sur les documents figurés de l'archaïsme et du classicisme grecs. *Dialogues d'histoire ancienne*, vol. 15, n°2, 1989, p.399-433.

⁸ Snowden. (F.M.Jr)., *Blacks in Antiquity: Ethiopians in the Greco-Roman Experience*. Cambridge, Harvard Univ. Press, 1970.

⁹ Adbusalam. (M.-S.-A)., The Garamantes "traders of the desert". *Educational & Social Science Journal*, Vol. 7, 1, 2020, p.164-181.

¹⁰ Poinssot. (L)., Colliers d'esclave trouvé à Thalepte. *Revue Africaine*, Vol. 87, 1913, p.49-65.

¹¹ كاهينة قبائلي، دور العبيد في تأمين الغذاء ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني. حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 5، العدد9، 2015، ص56-74.

¹² Deschamps. (H)., Les Zandj et Sahara, Soudan occidental et méditerranée au moyen âge. *Extrait d'Histoire de la Traite des noirs de l'antiquité à nos jours*, 1978, p.1-18.

¹³ Deveau. (J.-M)., 2002. « Esclaves noirs en Méditerranée », *Cahiers de la Méditerranée*, n°65, p.205-218.

¹⁴ Stellmann. (C)., Op.cit., p1.

¹⁵ Camps. (G)., Les chars sahariens. *Antiquités africaines*, 25, 1989, p.11-40.

¹⁶ Deschamps. (H)., Op.cit., p.1-18.

¹⁷ Ibid., p.1-18.

¹⁸ Deveau. (J.-M)., Op.cit., p.205-218.

¹⁹ Hady.-Roger. (I)., « Le récit d'al-Mâlikî sur la conquête de l'Ifrîqiya (Extrait du Riyâd an- Nufûs) », *Revue des études islamiques*, XXXVII, I, p147.

²⁰ Roger. (B)., « Les réseaux transsahariens de la traite de l'or et des esclaves au haut Moyen Âge : VIIIe-XIe siècle », *L'Année du Maghreb*, VII, 2011, p.27-59.

²¹ Deschamps. (H)., Op.cit., p.1-18.

²² Ducène. (J.-Ch)., Les esclaves de l'océan Indien dans les sources arabes (IXe-XVe siècles). *Revue historique de l'océan Indien*, 16 2019, pp.269-285.

²³ فاطمة بوزاد، حرفة النخاسة في المغرب الوسيط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، جوانب من التاريخ المسكوت عنه. دورية كان التاريخية، العدد53، 2021، ص31-46.

²⁴ Deveau. (J.-M)., Op.cit., p.205-218.

²⁵ فاطمة بوزاد، نفس المرجع.

²⁶ Latchoumaya. (L)., Éléments pour une archéologie funéraire de l'esclavage. *Revue Historique de l'océan Indien, Esclavage : nouvelles approches*, 9, 14, 2017, p.372-388.

²⁷ Stellmann. (C)., Op.cit., p8.

²⁸ Courtaud. (P)., « Le cimetière, comme miroir de l'esclavage : approche archéologique. Le cimetière d'Anse Sainte-Marguerite (Guadeloupe) ». *Situ*, 20, 2013.

²⁹ Jérémie. (S)., « Esclavage, lieux de mémoire, archéologie : un triptyque en devenir dans les régions Ultrapériphériques». *Situ*, 20, 2013.

³⁰ Courtaud. (P)., Op.cit.

³¹ Tardieu. (J.-P)., La pathologie rédhibitoire de l'esclavage en milieu urbain: Lima XVI^e siècle. *Anuario de Historia de América Latina (JbLA)*, n°26, 1989, p19-35.

³² Beltrán. (G.-A)., *La población negra de México. Estudio etnohistórico* (México), 1972, p.189- 194.

³³ Uribe. (J.-J)., 1963. Esclavos y señores en la sociedad colombiana del siglo XVIII": *Anuario Colombiano de Historia Social y de la Cultura*, 1,1963, p.34-35.

³⁴ Bocoum. (H)., et Toulhier. (B)., « La fabrication du Patrimoine : l'exemple de Gorée (Sénégal) ». *Situ*, 20, 2013.